Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخرّب نسيج العاطفة البريئة المبنية على الصدق المتبادل ما بين العاشقين الاثنين.

إن تلك القصص الغرامية، وحالات العشق التي نصادفها بكثرة في رواية (دون كيشوت) ما كانت تتوارد إلا من أجل البحث عن إجابات لأسئلة دون كيشوت الذاهبة نحو إعلاء شأن الأمرين الجوهريين في الرواية، أعني (الفروسية) و (العشق)، وليس من أجل الاستشفاء منهما باعتبارهما لوثتين لا يطيق المجتمع احتمالهما. ولنا أن ندرك المعاني العظيمة التي يتمثلها دون كيشوت وهو يجاهد في هذا المجال، وذلك حين نعرف أن زمن دون كيشوت لم يكن زمن الفروسية، فقد شبعت الفروسية، في أيامه، ذماً وثقولاً وقدحاً لأنها ابتعدت عن روح الفروسية النبيلة، ولأن مئات القصص المبتذلة الساذجة وضعت من أجلها، والتي كان هدفها تأييدها، لكن حيثياتها وغاياتها كانت تؤدي إلى تدميرها ومواتها رويداً رويداً، أي أن الفروسية، كانت في عهد دون كيشوت، منقرضة وضرباً من الخيال والماضي غير المرغوب بإعادته أو حضوره مرة ثانية. أما الحال الثانية، حال العشق، فقد شاع في زمن دون كيشوت الابتذال والرخص، كما شاعت العلاقات المادية (بيع الأجساد)، وصار أصابة جانب من جوانب النبل أو العذرية في العلاقات الأنثوية غايةً من الغايات الكبيرة، وأمنيةً عزيزةً لاتحدث على أرض الواقع إلا بمعجزة حقيقية.

ولهذا نهضت المفارقة الحادة بين ما هو كائن من ابتذال للمرأة، وترخيص لقيمتها ودورها في الحياة، وبين ما يريده دون كيشوت من دور لها في الحياة؛ دورٍ مشتق من النبل والطهارة والعفة، ولهذا صارت حال العشق عنده قرينة بالفروسية، ولا غنى لإحداهما عن الثانية، أما الفروسية فقد أراد إحياء مجدها وتاريخها وقيمها بعدما هجاها المجتمع بقسوة شديدة، وبعدما تكاثر أدعياؤها من اللصوص وقطاع الطرق والمجرمين. وبرأيي أن سرفانتس أحسّ بفداحة هذا النقص الذي أصاب المجتمع الأسباني، نقص الرجولة الحقيقية (الفروسية)، والمرأة الحقيقية (العذرية) في آن معاً، لأن هذا النقص يعني انديا ح القيم المادية، وأشكال التهاون والتهافت، وخراب المقدس والنبيل، ولهذا استنفر همته وصاح بأعلى صوته من خلال هذه الرواية (دون كيشوت) لا للمادية التي ستسحق الإنسان الفارس، ولا للمادية التي ستجعل المرأة سلعة نفاد، أو سلعة مبرمجة زمنياً. من هذا الإيمان تحديداً نبعت شخصية دون كيشوت الذي رأى في كل الرجال الذين قابلهم وواجههم فرساناً، كما رأى في كل السيدات اللواتي تعرف